أسس الفكر الصوتي واستثماراتها في البحث اللساني العربي

Foundations of Phonological Thought and its Investment in Arabic Linguistic Research

بوبكر حسيني
جامعة ورقلة - الجزائر
hacini.boubaker2023@gmail.com

تاريخ الإرسال: 11/ 08/ 2023 -تاريخ القبول: 2023/09/10 - تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:
الأسس في الفكر الصوتي هي المنطلقات التي اعتمد عليها المتعاملون مع الظاهرة الصوتية من خلال حركية الأصوات اللغوية، أو أداءات ناطقها، أو الناظر في تفاعلاتها، فما تعلق منها بالأصوات اللغوية فهي الأسس التشكيلية وعلى رأسها التدافع الصوتي، وأما ما تعلّق منها بناطق الأصوات اللغوية فهي الأسس الأدائية وعلى رأسها المشافهة، وأما ما ارتبط منها بالناظر في الظاهرة الصوتية فهي الأسس التحليلية وأهمها النقد الصوتي، وعلى هذا سميناها أسسا لتعلقها الشديد بمجريات الفكر الصوتي أداءً وتشكيلا وتحليلا، وعلى ضوئها سار اللسانيون في التعامل مع الفكر الصوتي تفاعلا معها واستثمارا لتداعياتها.

الكلمات المفتاحية: الأسس؛ الفكر الصوتي؛ الأداء؛ التشكيل؛ التحليل؛ الاستثمار.

Abstract:

The foundations in the phonological thought are the starting points upon which those dealing with the vocal phenomenon relied on through the movement of linguistic sounds, or the performances of their speakers, or the beholder in their interaction. So what is related to linguistic sounds are the formation foundations, and more especially the vocal scramble. As for what is related to the producer of linguistic sounds, it is the performance foundations including mainly the oral performance. As for what is related to the vocal phenomenon, it is the analytical foundations, and most importantly the vocal criticism. Therefore, we named it foundations because it is closely linked to the experiences of vocal thought, from the point of view of performance, formation and analysis. It is on its light that the linguists proceeded with the phonological thought.

Keywords: Foundations; vocal thought; performance; formation; analysis; investment.

مقدّمة:

إن المتأمّل في قضايا الفكر الصوتيّ يلاحظ تميّزها عن باقي القضايا اللسانية؛ الصرفيّة أو النحويّة أو البلاغيّة أو الأسلوبيّة أو المعجميّة بشيء من التفرّد والخصوصيّة، فهذه المستويات اللسانيّة يمكن ضبط قضاياها وتفصيلاتها ومسائلها وأنماطها كتابيًّا، أي يكفي فيها الوصف لاستيعابها، فتتبدّى للباحث بشكل واضح، لكن الكثير من قضايا الأصوات اللغوية وتفصيلاتها وأنماطها لا يكفي فيه الوصف، بل لابدّ فيه من الأداء والممارسة الشفوية؛ كي يكون دقيقا وواضحا، لدقة حالاته وتعذر الفصل بين مختلف تلوناته، فالأداء الصوتيّ المباشر هو الوسيلة الوحيدة للكشف عن حقيقته من جهة، ولأن الكثير من المسائل الصوتيّة الإفرادية أو التركيبية أو التطريزية ليس له شكل مكتوب، ويعوّل في معرفته على الأداء المباشر. وقد أكد النحويون والقراء هذه الحقيقة في كثير من مؤلفاتهم؛ فها هو إمام العربية سيبويه (ت: 180ه) يشير بعد حديثه عن الأصوات الفرعية، المستحسنة والمستهجنة، أنها لا تتبين إلا بالمشافهة، فقال: «وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة »[1] رغم وصفه لها، والجاحظ (ت: 255ه) أيضا جعل اللغة الشفويّة أرقى مستويات التواصل بجعلها الأولى ترتيبا ضمن وسائل التواصل اللغوي، يقول: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثمّ الإشارة ثمّ العقد ثمّ الخط ثمّ الحال التي تسمى نصبة»[2]، ويعرف ابن جنّي (ت: 392ه) اللغة على أنها أصوات، بقوله «أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[3]، فجعل حدّ اللغة أصواتا رغم أنها أوسع من ذلك، فهي تشمل اللغة المكتوبة، ولغة الإشارة، ولغة الحال... لكنّه قصر حدها على الجانب الشفويّ؛ لِعِظَم شأنه ومكانته، وكأنه يريد أن يقول من خلال هذا التعريف: إن أرقى ما تكون عليه اللغة التي للتواصل أن تكون أصواتا. فابن جني هنا أيضا يطابق، في هذا التعريف، بين اللغة والكلام، فمن الباحثين من يرى أن هذا التعريف قاصر في بيان مفهوم اللغة، ويصدق على تعريف الكلام، وهو الممارسة الفعلية للغة، لأنها ذات طبيعة شفويّة، ولكن ما نراه ونطمئن إليه أن هذا التعريف دقيق وشامل، ويعلي من قيمة المشافهة ضمن آليات التواصل اللغوي، وهذا كلّه يعزّز قيمة المشافهة في ضبط المسائل الصوتية.

ومن هذا المنطلق كان التلقّي الشفويّ للمسائل الصوتية أعلى درجات التوثيق لما يحمله من تفاعلات نفسيّة وإشارية تغيب في أنماط اللغة المكتوبة أو لغة الإشارة، ولذلك آثرنا أن نجعل من المشافهة مصدرا أساسا للقضايا الصوتية، توازي في قيمتها المصادر المكتوبة، بل هي أكثر مصداقيّة في تقديم الصورة الكاملة للظاهرة الصوتية بكل مكوناتها.

1. مدونة الفكر الصوتي العربي[4]:

يتأسس الدرس الصوتي العربي بمختلف مستوياته على إطار مرجعي متعدّد الأشكال والأنساق يتضمن مختلف الأداءات الصوتية، والسياقات التي تتضمن الآراء والمواقف والتحليلات والشواهد والممارسات النقدية، ويمكننا أن نضع تعريفا شاملا يستوعب مفهوم المدونة في بعدها التطبيقي، فنقول: هي الإطار الذي يجمع، في آن واحد، جميع الأداءات المنجزة بمختلف القوانين الصّوتيّة التي تحكم أداء اللّغة العربيّة، سواء أتعلّق الأمر بتلاوة القرآن الكريم أم بإنشاد الشّعر أم بأداء النّثر، أداءً شفويًّا بأشكال مسموعة تُبْرز القوانين الصّوتيّة التي تحكم الأداء الصّوتي، وهذه الأداءات غير محدودة بزمان ولا بمكان، وتشمل كلّ الإمكانات الصّوتيّة الفعليّة، والتي نستشف من خلالها القوانين الصّوتيّة التي تتحكّم في الأداء؛ ابتداءً ووصلًا ووقفًا، في جميع الأحوال والمقامات، ممّا يخضع لنظام الكتابة وما لا يخضع، وهذه نسميها مدونة الأداء الصوتي. وكذلك التّحولات الصّوتيّة والصّرفيّة بجميع الإمكانات التّصريفيّة والاشتقاقيّة للأبنية والصّيغ بكلّ صورها وتشكلاتها المرئيّة والمسموعة المُجسّدة للأداء الصّوتي سمعيًّا وبصريًّا، فالتّجسيد السّمعي يتضمّن كلّ الاشتقاقات الممكنة لبناء الصّيغ في مختلف التّصريفات الممكنة ممّا يتداوله المتكلّمون في سياقات اللّغة التّواصليّة أو الإبداعيّة... وأمّا التّجسيد البصري فيتضمّن كلّ صوّر الكتابة التي تعكس الأداء الصّوتي، فترسم تفاعلاته وتجسّد تدافعات الأصوات اللّغويّة مع الإقرار بالقصور الكبير للكتابة من جهة استيعابها لمتطلبات الأداء المنطوق لاعتبارات كثيرة، وهذه نسميها مدونة التشكيل الصوتي.

وهي أيضا جميع السّياقات المعرفيّة التحليلية ذات الطّابع الصّوتي التي وردت في مصادر الدّرس الصّوتي في كتابات النّحويين والقُرّاء والبلاغيين والمعجميين والمفسّرين والنُّقاد والفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمتكلّمين، وجميع من تناول

الظّاهرة الصّوتيّة قديما وحديثا؛ وصفًا وتحليلًا ونقدًا، وهذه السّياقات بما تحويه من مصطلحات وأعلام وآراء وشواهد ووجهات نظر وتحليلات ومواقف نقدية تُبْرز طبيعة الظّاهرة الصّوتية ومختلف مدارسها واتجاهاتها والأسس المعرفيّة والمنهجيّة التي يقوم عليها التّعامل الصّوتي، وهذه نسميها مدونة التحليل الصوتي.

إنّ هذا الوعاء الذي يجمع كلّ ما ذكرنا، وما له صلّة بالظّاهرة الصّوتيّة (أداءً وتشكيلًا وتحليلًا) التي نتعامل معها في بحوثنا ودراساتنا، وفي حياتنا اليومية بقوانينها الصوتية المميزة ونماذجها التطبيقية الكثيرة الموزعة على مساحة متن اللغة العربية وإسقاطاتها الميدانية، مع كل ما كتب حولها وصفا ورسما، شرحا وتحليلا ونقدا بمختلف تفاصيلها، نسمّيه مدوّنة الدّرس الصّوتي العربي، وهي ملاذ الباحث ومرجعه في تلقي المعرفة الصوتية بكل تفاصيلها، وهي نقطة الانطلاق في صياغة النّظريّة الصّوتيّة ومرجعيتها في ضبط الكلّيات وتفصيلاتها، وهي بهذا المعنى بمثابة قاعدة المعطيات لبناء الدرس الصوتي بجميع تفصيلاته واستخلاص أسسه ومنطلقاته.

إنّ هذه المدوّنة تتجلّى في ثلاث صور تبعًا لمكونات الظّاهرة الصّوتيّة، وهي الأداء والتّشكيل والتّحليل، وبناءً على ذلك تقسَّم المدوّنة إلى ثلاثة أقسام، وهي: مدوّنة الأداء الصّوتي، ومدوّنة التّشكيل الصّوتي، ومدوّنة التحليل الصّوتي.

أ. مدوّنة الأداء الصّوتي:

إن الدرس الصوتي العربي بجميع توجهاته يبنى أساسا على الأداء الشفوي للغة، أي أن النطق هو الفيصل في ضبط قضاياه، وعلى هذا الأساس تنوعت المباحث الصوتية عبر مساحة الدراسات اللغوية العربية، وتعددت بتعدد القوانين الصوتية التي تسيرها، ولاشك أن اللغة العربية تؤدى - من الناحية الصوتية - بأشكال مختلفة تبعا لطبيعة النصوص التي نؤديها، وإذا دققنا النظر في مختلف الخطابات العربية من جهة تميز الأداء الصوتي لها وجدناها مختلفة فيما بينها من حيث القوانين الصوتية التي تحكم أداءها، وهي: الخطاب القرآني، بجميع قراءاته المرويّة عن النبيّ ﷺ، والخطاب الشعري بجميع أغراضه وإيقاعاته، والخطاب النثري بجميع فنونه ومستوياته. وجميع المؤلفات والبحوث والدراسات الصوتية العربية، القديمة والحديثة، توزعت عبر هذه الأنماط الثلاثة.

مدونة الأداء هي الإطار الأدائي للغة العربية، الذي بموجبه تحدّدت معالم

القوانين الصوتية وتنوّعت، وأعطت لكل نمط خصوصيته الأدائية، تُبْنَى من خلالها قوانينها الصوتية، وأصبحت متميّزة ومميّزة، ومع الإقرار بوحدة الإطار الصوتي العام الذي يجمعها وهو اللسان العربي بالحدود النطقية المرتبطة بالمخارج والصفات، لكن عنصر الخصوصية الأدائية يظهر في القوانين الصوتية التشكيلية، كالإدغام والإبدال والقلب والإمالة والفتح والتفخيم والترقيق، والإشباع والقصر، وأيضا في الظواهر التطريزية كالتنغيم والنبر والوقف؛ هذه الظواهر هي التي تحكم الأداء الصوتي، وتكسبه الخصوصية لاسيما حال الاستعمال المستمر لمحتوى المدونة أين تتحرك أصوات اللغة وفقها بناءً على النسق المحدد لها، وعلى هذا يقول الدكتور رشاد محمد سالم: «والأداء بهذه الصورة يختلف باختلاف فنون القول: فأداء الشعر الذي يسمى بالإنشاد غير أداء الخطابة، وكل منهما يختلف عن أداء القراءة»[5].

ب. مدوّنة التّشكيل الصّوتي:

يراد بالتشكيل الصوتي في الدرس اللساني العربي - فيما نرى - أمران؛ الأول: تراصف الأصوات اللغوية أداءً في إطار صيغ وتراكيب وأساليب، فتُشَكل بذلك مختلف الخيارات الصرفية واللهجية والتركيبية، وما يترتب عن بنائها من تغيرات صوتية، وأما الثاني: فتشكل الأصوات اللغوية في إطار رموز خطية تعكس الأداء الصوتي وتعبر عنه، فترسم تفاعلاته وتجسد تدافعاته، وبهذا يكون التشكيل الصوتي على نمطين أساسين: تشكيل سمعي مرتبط بالأداء، وتشكيل بصري مرتبط بالكتابة.

إن التشكيل السمعي واسع الانتشار في لهجات العرب وقراءات القرآن ويمثل مظهرا من مظاهر الاختلاف، فهو انعكاس طبيعي لتعدد الأداءات عند العرب بتعدد لهجاتهم، وليس المجال يتسع لبسط صوره الصرفية واللهجية، لسعتها وتعددها، وحسبنا ذكر الإطار العام الذي تعبر عنه، فتعدد الصيغ باختلاف التصاريف، وتخالف الحركات مثلا، يعطينا خيارات كثيرة للإطار التشكيلي للأبنية في أداءات اللغة، ويكشف لنا عن اتساع مدونة التشكيل الصوتي في أداءات العربية وقراءات القرآن، وقد كانت لنا وقفات متأنية في رصد التحولات الصوتية للأبنية العربية باختلاف الصوائت القصيرة في القراءات السبع[6]، فخلصنا إلى أن التغيرات في الصوائت القصيرة في أداءات القراء أكسب أنظمة اللغة العربية مرونة جعلتها أكثر حيوية، وهي للقارئ متنفس ينساق إليه طبعه، وتركن إليه نفسه،

ويبعده عن مشقة التكلف.

وأما التشكيل البصري المرتبط بالكتابة فيعكسه نظامها، بما في ذلك رسم المصحف الشريف، الذي أعطى متنفسا كبيرا للخيارات الصوتية، كما أسهم في ترجمة الأداء الصوتي بأشكال مختلفة، وعليه جاءت مصادر علم الرسم لتقدم لنا وجها آخر من وجوه الإسهام في تشكيل روافد الدرس الصوتي، فقواعد الرسم بتفاصيلها جزء من منظومة التشكيل البصري في الدرس الصوتي العربي من نواح متعددة، يمكن الإشارة إليها من خلال تقديم زوايا الإسهام في بناء مدونة الدرس الصوتي.

ج. مدوّنة التحليل الصّوتي:

هي الوعاء الذي يجمع كلّ السّياقات المعرفيّة ذات الطّابع الصّوتي التي تتوزّع بأشكال واسعة في مصادر الدّرس الصّوتي العربي مما ورد في كتابات النّحويين والقُرّاء والبلاغيين والمعجميّين والمفسرين والفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين، وكل من تناول الظّاهرة الصّوتيّة قديما وحديثا، وصفًا وتحليلًا ونقدًا، وما تضمّنته من آراء ومواقف وتحليلات وشروح وأعلام وشواهد ومصطلحات ومواقف نقدية.

إن هذه السياقات مبثوثة في كتب التراث العربي بمختلف اختصاصاته، فكل سياق تضمن إشارات مباشرة أو غير مباشرة لقضايا الأصوات اللغوية، مفردة أو مركبة؛ هو جزء من مدونة الفكر الصوتي العربي، وهي على ثلاثة أقسام؛ منها ما تعلق بالنثر ، ومنها ما تعلق بالشعر، ومنها ما تعلق بالقرآن الكريم؛ فكل المؤلفات النحوية والصرفية والبلاغية والأسلوبية والمعجمية والفلسفية والتاريخية والفقهية؛ القديمة والحديثة، التي تناولت اللغة النثرية، من جهة أصواتها؛ إفرادا أو تركيبا، وما يترتب عن ذلك من مصطلحات أو تحليلات أو تفاعلات... هي مدونة النثر العربي. وكل المؤلفات التي تضمنت سياقات تتناول الشعر العربي من جهة أوزانه وإيقاعاته؛ من بحور وزحافات وعلل وأعاريض وأضرب وقواف، وما ينجر عن ذلك من توظيف للمصطلحات والمفاهيم والتحليلات والممارسات النقدية، ككتب العروض وكتب نقد الشعر، بالدرجة الأولى، وغيرها من المصادر التي احتوت ما يماثل هذه السياقات... كل ذلك جزء من مدونة الشعر الصوتية. وكل السياقات الصوتية التي تضمنتها المؤلفات التي تناولت أداء القرآن الكريم، ككتب القراءات والاحتجاج لها وكتب علم التجويد وكتب رسم المصحف، بالدرجة الأولى، وسواها

من المصادر في مختلف المعارف التي وظفت القرآن الكريم في شقه الصوتي... إنّ هذه السياقات وما توظفه من مصطلحات وآراء ومواقف وممارسات نقدية.. كل ذلك جزء أصيل من مدونة القرآن الكريم الصوتية.

إن مفهوم المدونة ليس هو مجموع المصادر التي تناولت الظاهرة الصوتية، ككتب النحو أو القراءات أو العروض، فتلك نسميها مكتبة الدرس الصوتي العربي، وإنما المدونة هي مجموع السياقات الموجودة في تلك المصادر أو في غيرها، وهي التي تضمنت فكرا صوتيا بجميع مكوناته، ومنها نستقي أسس الفكر الصوتي العربي بكل تفاصيله وشواهده، فلا يمكننا أن نقف على أي أساس دون النظر في الأداءات والتشكيلات والتحليلات.

2. أسس الفكر الصوتي العربي:

تكشف لنا القراءات المتأنية لمصادر التراث العربي بمختلف علومه عن عمق فكرة الأسس، وأن أعلام تلك المعارف غالبا ما يسعون إلى ضبط مناهجها، وتحديد أطرها، واستخلاص قواعدها وأنظمتها؛ من خلال استخراج أسسها وقواعدها الكلية، العلميّة والمنهجيّة، من أجل التفاعل مع مختلف قضاياها، وقد تناثرت أسس الفكر في مختلف مصادر التراث اللساني العربيّ، بأشكال تأسيسية حينا، ومتكاملة أحيانا أخرى، يسعى أصحابها إلى وضع لبنات في صياغة فلسفة تشكّل تلك المعارف، وضبط مادتها، والأمر نفسه في الدراسات الصوتية من خلال تقصي السياقات الصوتية في مدونة الدرس الصوتي العربي، ولم نجد، في حدود الاطلاع، من تأمل السياقات الصوتية بهذا المفهوم، في حين وقفنا على دراسة للدكتور مشتاق عباس معن بعنوان: "أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين، قراءة في وظيفة التداخل المعرفي" (2006)، فقد تناول فكرة الأسس من خلال جهود البلاغيين في إبراز الظاهرة الصوتية من حيث الإنتاج سلامة وإخلالا.

لم تكن هذه الدراسة للدكتور مشتاق معن على الخط الذي انتهجناه لتناول فكرة الأسس، فكانت لنا ورقة بحثية بعنوان: "أصول الفكر الصوتي عند البلاغيين" (2017)، قدمنا فيها رؤيتنا لمفهوم الأسس في الفكر الصوتي العربي من خلال تراث البلاغيين، وتأتي هذه الورقة مكملة لتلك، لتعرض أسس الفكر الصوتي انطلاقا من مكونات الظاهرة الصوتية إنتاجا وتشكيلا وتحليلا، مع إبراز أهم استثماراتها في

مجريات الدرس اللساني.

فأسس الفكر الصوتي هي جملة المنطلقات والقواعد والكليات الأساسية ذات الطابع المعرفي أو المنهجي، ينطلق من خلالها المتعاملون مع الأصوات اللغوية من القراء أو النحويين أو البلاغيين أو العروضيين أو المعجميين أو الفلاسفة... يستندون إليها في وصف العلاقات الصوتية، وضبط التفاعلات بين الأصوات اللغوية بالتحليل والنقد لبناء إنتاجهم العلمي، تتضافر كلها لإحداث عنصر الوحدة الفكرية في التحليل والتعليل، وفي التأليف والإنتاج، لها دور كبير في بلورة أفكار المدارس الصوتية وأطروحاتها، كما أنها تكسب المدارس الصوتية طابعها المميز، من الناحية المعرفية أو الناحية المنهجية، ولو تأملنا مختلف المدارس المعرفية عبر تاريخ الأمة العربية والإسلامية سنجد فكرة الأسس ضاربة في أعماق المنهج العلمي العربي، بل لا نكاد نقرأ علما إلا وله أسس ومنطلقات، بعضها ظاهر جلي متواجد بلفظه ومعناه، وبعضها متواجد بدلالاته، وبعضها الآخر يتواجد بآثاره وتطبيقاته:

1.2. الأساس الأول: الأداء الصوتي

ينطلق الأداء الصوتي من أهم عنصر في العملية الصوتية ويصطلح عليه اللسانيون قديما وحديثا على لفظ "المشافهة"، وهي في الفكر الصّوتي العربي ركيزة أساسية في سلامة حفظ الأداء ونقله، وهي كذلك عند النحويين والقرّاء والبلاغيين، وقد ارتبطت المشافهة بجملة من المتعلقات ضمانًا لجودة الأداء وسلامة النّقل الصّوتي؛ ارتبطت بالأداء، فحيثما يذكر الأداء الصّوتي لأية وحدة أو نمط، فإنّ مفهوم المشافهة ضمني، رغم أنّ الصّوت اللّغوي توسّع مفهومه في الدرس اللّساني الحديث ليشمل كلّ أثر سمعي تستقبله الأذن بهدف التّواصل، وقد يكون بتصفيق اليد أو ضربة الرجل أو سوى ذلك ممّا تتّفق عليه الجماعة اللّغوية، ويدخل ضمن عناصر التّواصل اللّغوي، ويظلّ الصّوت اللّغوي الصّادر عن أعضاء التّصويت يحتل الصّدارة في الدّلالة على عمق المشاعر وصدق الأحاسيس ودقّة التّواصل، ومهما كانت وسائل التّواصل الصّوتية ممّا أشرنا إليه مُدركة لمعاني التّواصل الاجتماعي لكنّها لا توصف بالفصاحة أو عدمها إلّا إذا كانت مشافهة، وارتبطت المشافهة أيضا بالسّماع، وارتبطت كذلك بالتوثيق والنقل، وهذه الرّوابط هي التي جعلت المشافهة عنصرًا شريكًا، نظريًّا وإجرائيًّا، لنجاح العملية التّواصليّة[7].

ومن المتعلقات الإجرائية للأداء الصوتي والمحافظة عليه التدريب والممارسة، ويصطلح عليها اللسانيون قديما وحديثا أيضا على لفظ الرياضة، ولها إطلاقات عديدة في مصادر الدرس الصوتي العربي كالتدريب والمعالجة والتمرين، وقد وقفنا على كثير من تفاصيلها وعلاقاتها بالمشافهة في كتابنا (الرياضة الصوتية)[8].

إنّ بعد الناس عن دوائر الفصاحة، وغياب آليات الانغماس اللساني وانتشار اللحن في المجتمعات يضعف من مستوى إنتاج اللغة، ويجعل أداءاتنا الصوتية للوحدات عرضة للعادات النطقية الخاطئة، واللحن الفظيع، لا في أداءاتنا التواصلية فحسب، بل وفي تلاوة القرآن الكريم أيضا. وقد أكد النحويون والقراء والبلاغيون في كثير من سياقاتهم إلى وجوب الحذر والحيطة من تدني مستوى الإنتاج الصوتي باعتماد التدريب اللساني على سلامة الإنتاج الصوتي بالتكرار والممارسة... وهذه الإجراءات يجمعها مصطلح الرياضة الصوتية، فكثيرة هي النصوص والسياقات الصوتية في كتابات النحويين والبلاغيين والقراء والمجودين والمعجميين التي تضمنت مصطلحات الرياضة وأساليبها وأسسها ومخرجاتها فجعلتها جزءا من منظومة الفكر الصوتي، وأداة فعالة لمجابهة اللحن والعادات النطقية التي هي المبرر الرئيس لنشأة الدرس اللساني العربي[9].

إنّ هذه السياقات وهذه الإشارات المباشرة وغير المباشرة لأهمية الرياضة الصوتية، وبهذا الحجم المعتبر في التراث الصوتي للغة العربية عند القدماء والمحدثين جعل الرياضة أسلوبا تعليميا ناجعا في مسار الدرس اللساني، وهي بهذا المعنى أيضا أساس من أسس الفكر الصوتي، اعتمد عليها المتعاملون مع الظاهرة الصوتية للمحافظة على سلامة الإنتاج اللغوي، بل هي أداة معاصرة في كمال تعليميات اللغات، والتدرب على الترجمة الفورية والتواصل الفعال عند الإعلاميين، وهي أيضا أداة مهارة في تعليمية تلاوة القرآن الكريم وحسن أدائه كما سيأتي في مبحث الاستثمارات.

2.2. الأساس الثاني: التشكيل الصوتي

يمثل هذا الأساس دعامة الأداء الصوتي إذ هو حصيلته، منه ينطلق وبه تتشكل القوانين الصوتية للغة، فهو التصوير الفعلي للتدافعات المختلفة للأصوات اللغوية في غمرة التتابع، فالطبيعة التركيبية لأصوات اللغة تجعلها تسلك مسالك التدافع الطبيعي لتحقيق التنوع الذي يصنعه المتكلم باختلاف مقاصده ومواقفه، فمظاهر

الإبدال والحذف والإشباع والقصر والإمالة والتفخيم والإدغام والتقديم والتأخير والإسكان... هي صور للتدافع الصوتي الذي يفرضه الوضع التركيبي لأصوات اللغة، وهذا مؤشر واضح على أن اللغة كائن حيّ، وأن أصواتها كأفراد المجتمع الواحد، تتدافع لتحقيق التواصل، ولولا تدافعاتها المختلفة حال تركيبها ما نشأت تلك المظاهر الصوتية، وما كان لعلم الأصوات اللغوية من وجود، فهو مبني أساسا على تدافعاتها التي شكلت زخما هائلا من التغيرات والتحولات الصوتية والدلالية، فالتدافع أصل في بناء الفكر الصوتي نظريا وإجرائيا لا يخلو باب من أبواب الدرس اللساني عامة والصوتي تحديدا من تداعياته.

إنّ التدافع بين الأصوات اللغوية مشتق من تدافع الإنسان ناطقها، فالإنسان في الحياة قائم على أساس التدافع، وحياته مبنية على مختلف التدافعات ﴿ ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (البقرة: 251)، فكما أن التدافع البشري أصل من أصول الحياة، فكذلك التدافع الصوتي أصل من أصول الفكر الصوتي، لأن حركية الأصوات في مسار اللغة كحركية الإنسان في مسرح الحياة.

إن من تداعيات التدافع الصوتي في غمرة تتابع الأداء صناعة الإيقاع بمختلف صوره، فحينما تتدافع الأصوات اللغوية في زحمة التتابع حال عمليات التواصل تصنع صورا من التناغم متعدد الوجوه لإحداث عنصر التأثير، وهذا التناغم في بناء اللغة (أصواتا أو أبنية أو تراكيب أو سياقات) في مختلف المدونات الناطقة بالعربية (في الشعر أو النثر أو القرآن) يصنع إيقاعا صوتيا بارزا تارة في شكل أوزان، وخفيا تارة أخرى من خلال البناء الداخلي للغة، أو من خلال إيقاعات المعاني والأخيلة والصور الفنية، وعلى أي حال فالإيقاع الذي تحدثه الأصوات اللغوية في بناء وحدات اللغة داخليا وخارجيا جزء من منظومة اللغة، وقد عرفت اللغة العربية باستجابتها الطبيعية للإيقاع، بمختلف صورها ومستوياتها، حتى سماها الأديب عباس العقاد (اللغة الشاعرة)، فالإيقاع مكون أساسي في تشكل مختلف أنظمتها، ويؤدي أدوارا تواصلية وجمالية عديدة.

لقد جنح الدرس الصوتي العربي إلى ملامسة هذا المعطى في تحليل الخطاب بمختلف صوره، وهو ما جعل الإيقاع في مدونات اللغة العربية أساسا من أسس الفكر الصوتي، وقد تبدى بشكل تلونات صوتية في مستوى البنى الخارجية في

الخطاب القرآني من خلال أدوار الفاصلة القرآنية مثلا، وفي الخطاب الشعري من خلال البحر والقافية مثلا، وفي الخطاب النثري من خلال مكونات البديع كالسجع والطباق والجناس وغيرها... فالإيقاع بجميع صوره جزء من المنظومة الصوتية في اللغة وأداة مؤثرة في أنماط التواصل اللغوي.

3.2. الأساس الثالث: التحليل الصوتي

يرتكز التحليل الصوتي عبر السياقات الصوتية الكثيرة التي يزخر بها تراثنا اللساني العربي على أشكال عديدة من الممارسة النقدية شكلت إطاره التحليلي وصنعت منه أداة لبناء المعرفة، وقد اصطلحنا على هذا الأساس بـ(النقد الصوتي)، وهو في إطاره اللغوي تخليص جيّد الكلام من رديئه، وكان العرب يطلقون على ما يروى من الأحكام الذوقية اسم النقد، فهو أداة رقابية لتقويم المعرفة، وقد تعدّدت أنواعه بتعدد المجالات المعرفية لدى الإنسان، وكل مجال منها تتشكل نظرياته، وتستقيم أطره، وتتعمّق مفاهيمه، وتصحّح أخطاؤه بوساطة الممارسات النقدية.

لقد عجّت مصادر الدّراسات الصّوتيّة العربيّة في مختلف مجالاتها بالسّياقات النّقديّة استحسانًا، أو استهجانًا، أو موازنة، أو استدراكا، من خلال توظيفها للمفاهيم النقدية، فقد تأسّست أصلًا على الممارسة النّقديّة حين وضع النحويون والقُرّاء والبلاغيون قواعد الأداء الصوتي، بمختلف محاوره، استجابة لمطلب مُلحّ وهو مواجهة مشكل اللّحن، لأن البحث في معالجته شكلً عمليًّ من أشكال الممارسة النّقديّة.

وقد تعدّدت أشكال النّقد ومجالاته في كتابات النحويين والقراء والبلاغيين، فشكّل بذلك ظاهرة لسانيّة لافتة للانتباه، جديرة بالدّراسة والتّحليل، لِما أفاضه على الدّرس اللّساني العربي بوجه عامّ، والدّرس الصّوتي خاصة من تداعيات كثيرة في مستوى المصطلحات، أو المفاهيم، أو الاستثمارات.

والنقد الصوتي على ثلاثة أنواع، تبعا لتعدد مكونات الظاهرة الصوتية، وهي:

- نقد الأداء الصوتي: يتناول الأداء من جهة سلامة إنتاجه وحُسنه وفصاحته مخرجا وصفة، وما يتبع ذلك من التفاعلات الصوتية والظواهر التطريزية، وهو مرتبط بالإنجاز المباشر للظاهرة الصوتية (المشافهة).
- نقد التشكيل الصوتي: يتناول هذا النوع تقييم البناء التشكيلي للأصوات

اللغوية ومدى استجابتها لمطالب الدلالة، وهو على قسمين: أحدهما متعلق بنقد التشكيل البصري المهتم بالكتابة، والثاني متعلق بنقد التشكيل السمعي الذي يهتم بتشكيل الأبنية وتحولاتها الصوتية.

- نقد التحليل الصوتي: يتناول هذا النوع تباين وجهات النّظر في تقييم الظاهرة الصوتية من حيث الحُسن والفصاحة في الأداء، وما يترتب عنها من تحليلات وآراء ومواقف، والأمر أيضا ينسحب على زاوية الرؤية ومقاييس التقييم، وهو ما أكسب الدرس الصوتي متسعا للآراء، وفسحة للأذواق.

النقد الصوتي كأداة تحليلية لا ينطلق من فراغ بل يستند إلى مرجعيات شكلت مادة الانطلاق. وليس النقد فحسب بل الفكر الصوتي بكل مكوناته ينطلق من مرجعيات في أدائه وتشكيله وتحليله لأنه من الطبيعي أن يتفاعل اللسانيون مع مختلف العلوم الأخرى أخذا وعطاء، استفادة ونقدا، وهو ما يجعل فكرة المرجعيّة بمختلف أشكالها جزءا من المنظومة التحليلية في الفكر الصوتي العربي، بل وتعد أساسا من أسسه، انطلق منها المتعاملون مع الفكر الصوتي لبناء سياقاتهم التي تعج بآرائهم وتحليلاتهم ومواقفهم النقدية.

3. استثمارات أسس الفكر الصوتي:

تحظى أسس الفكر الصوتي العربي بأهمية بالغة في منظومة التعامل مع الظاهرة الصوتية عند الإنسان في جميع محطاته التواصلية، وعند الباحثين في المجالات اللسانية تحديدا، ويكون استثمارها من أكبر مخرجات العمل اللساني والاجتماعي على السواء. وبالنظر إلى أهميتها وقيمتها فإن استثمارها في مجريات البحث اللساني بمختلف فروعه واهتماماته بات ضروريا، وقد رصدنا أربعة مجالات أساسية تؤدي فيها هذه الأسس أدوارا فعالة ومؤثرة، تصنع التغيير وتعطي فرصا أوسع لاستثمار الأداء والتشكيل والتحليل في الفكر الصوتي بأشكال مرضية، وهي:

1.3. الاستثمار التعليمي:

أ. تعليمية الأصوات اللغوية:

إنّ العملية التعليمية واسعة الآثار في حياة المجتمعات، لأنها تصنع الإنسان، في نطقه وسلوكه وتفكيره وإبداعه، وظلت تعليمية الأصوات اللغوية على اختلاف مراحلها تحتل الصدارة في حياة الإنسان فهو يتعلم كيف ينطق ويعبر لسنوات

طويلة، وبأشكال مباشرة وأخرى غير مباشرة، وها هي المؤسسات التعليمية تضطلع بشق كبير من هذا الأمر، حيث يتلقى الطفل الأصوات اللغوية عن طريق المحاكاة عن والديه، ثم يتلقاها وفق مناهج وأساليب ووسائل في دور الحضانة ورياض الأطفال، ثم تتطور العملية في المراحل التالية، وتبقى المشافهة في كل هذه المراحل الوسيلة الأكبر في حسن الاكتساب اللغوي، فهي ترسخ الملكة اللسانية وتقوي الذاكرة وتثري المعجم التواصلي، كما أنها تصنع التفاعل الطبيعي بين المعلم والمتعلم، وكذلك الأمر في تعلم اللغات الأجنبية من أصوات وصيغ وأساليب ونبرات ونغمات، وبهذا تظل المشافهة الوسيلة الأنجع لاكتساب الأصوات اللغوية... وإلى أبعد من ذلك نرى أن ارتباط المشافهة يتعدى المسموعات ليتعلق بالرؤية أيضا، وهو ما يساعد فئة ذوي الإعاقة السمعية على اكتساب مهارات التواصل من خلال قراءة حركات اليدين والشفتين وقسمات الوجه. وعلى أي حال فالمشافهة أداة فعالة في عمليات التلقي المعرفي، بجميع أنواعه، وحسن استثمارها في هذه المجالات كفيل بإعطاء نتائج مبهرة في المستوى الفردي أو الجماعي أو المؤسساتي.

التدافع الصوتي من أبرز سمات الحركية اللسانية، فهو محط اهتمام الدراسات الصوتية والصرفية والبلاغية والأسلوبية، حيث يستثمر في تدريس الأصوات اللغوية في مراحل التلقي المعرفي الأولى في رياض الأطفال أو المراحل الأولى من التعليم الابتدائي، فيتدرب الطفل على تركيب الأصوات بعد تعلمه نطقها مفردة، وتركيبها يقتضي ظواهر صوتية عديدة كالإدغام والإبدال والإشباع والحذف... وهي حصيلة التدافع الصوتي.

ومن الاستثمارات التعليمية للتدافع الصوتي توظيفه في مجريات البحث اللساني، حيث يكشف لنا عن اجتماعية الأصوات اللغوية وما ينتج عن ذلك من علاقات متعددة بفعل حياتها المتجددة، فيكشف التدافع عن طباعها ومؤهلاتها مما يساعد المشتغلين بصناعة المعاجم اللغوية على حسن توليد المصطلحات الجديدة التي تنسجم مع النظام الصوتي للغة، ويعطي تفسيرات مقنعة للظاهرة الصوتية في أحوال التواصل اللساني المختلفة.

يرتكز الاتجاه التعليمي على توظيف الحس الإيقاعي لحفظ الأناشيد التربوية والأشعار في المدارس والمؤسسات التعليمية، وهذا المنحى له فاعلية كبيرة في عمليات

الحفظ والاستظهار، وقد وجدنا عبر تاريخ التراث العربي المنظومات العلمية التي حفظت لنا مختلف المعارف كالنحو والبلاغة والتجويد والمواريث والحديث... فجعلت هذه المعارف في شكل منظومات لتسهيل حفظها وتناقلها، لما للبعد الإيقاعي من تأثير في نفس السامع، وحفظ الشعر أيضا مقدم على حفظ النثر في نفوس المتعلمين، لما يتضمنه من بناء إيقاعي مدهش وجذاب، وحفظ القرآن الكريم أيضا لما تضمنه من إيقاع خاص يجعل المتلقي سريع الانجذاب والاكتساب، وهذا البعد، أعني التعليمي، واسع الاستعمال ومتعدد المخرجات يجعل من الإيقاع وسيلة مجدية لاكتساب المعارف.

بناء المقررات والبرامج والوحدات المعرفية لا ينطلق من فراغ، بل لابد من ملامسة المعارف المجاورة ذات الصلة، وكل المقررات التعليمية تبنى انطلاقا من خلفيات معرفية وأخرى اجتماعية أو دينية أو سياسية أو جغرافية... مما يلائم طبيعة المتلقي وسنه ومستواه العلمي، وبهذا تكون المرجعيات بمثابة السند الظاهر حينا، والخفي حينا آخر لصناعة المعرفة وتعليمها.

تشكيل المعارف الصوتية النظرية من تحليلات وتعليلات بحاجة إلى ممارسة نقدية لدعم مسارها التنظيري وتطوير أدواتها، وقد شهد الكثير من الدراسات الحديثة انفتاحاً معرفيًا كبيرًا بفعل إعادة النظر في الأطروحات القديمة التي تحول بعض مسارها بفعل إعادة مسوغاتها ومحاذيرها، فأضحى النقد وسيلة فعّالة لإنتاج الرؤى الصوتية الجديدة بفضل المختبرات الصوتية وأدوات التعامل الرقمية.

تعليمية اللغات تشغل حيزًا واسعًا في الأداء والسماع، فيكون النقد الصوتي أحد أبرز الوسائل لصناعة الأداء السليم، لاسيما في تعلم اللغات التي لم يألفها الإنسان، لما تحويه من وحدات صوتية جديدة، أو صيغ غير مألوفة أو ظواهر تطريزية من نبرات أو نغمات خاصة تعبر عن مقامات محددة، وهذه الوحدات الصوتية غير المألوفة بحاجة إلى تدريب ورياضة، ولابد للرياضة من رقابة، وهي الممارسة النقدية حتى تؤتي أكلها، وعلى هذا يكون النقد الصوتي أحد أهم أدوات التطوير في تعليمية اللغات، وما يكتنفها في كثير من الأحيان من الصعوبات في التلقي والأداء والتدريب.

ب. تعليمية التلاوة:

تلاوة القرآن الكريم إحدى الأركان الأساسية في ديننا، فلا تقوم الصلاة إلا بها،

وقد وضع لها القرّاء والمجودون قواعد وأحكامًا انطلاقا مما روي عن النبي ﷺ، وعند انتشار اللحن والعادات النطقية أصبح من الضروري تعلم التلاوة والحرص عليها لتسلم العبادة. ولأن التلاوة في أحد أركانها ممارسة شفوية فإن تعلّمها أيضا يقوم على المشافهة بشكل كبير، وكل الدروس وحلق العلم المرتبطة بالتلاوة مما لا يعتمد على تطبيقات المشافهة باء بالفشل في تحقيق أهدافه، فالتلقي عن الشيوخ والمتقنين أداءً وسماعًا هو الضمان الأساسي لحسن الاكتساب.

والتدريب على خصوصية التلاوة أيضا من حيث إكساب الأصوات بعض الصفات التحسينية كالغنة أو القلقلة أو الإشباع الطويل أو الروم أو الاختلاس أو الإشمام أو الإخفاء... أمر ضروري، ولذلك وجدنا مئات السياقات الصوتية في كتابات علماء التجويد يدعون فيها إلى وجوب الرياضة الصوتية (رياضة الألسن) بأساليب مختلفة وبمصطلحات عديدة، وهو ما يجعلها أساسا هاما من أسس تعليمية التلاوة، لما تتضمنه تلاوة القرآن من قضايا إفرادية أو تركيبية أو سياقية خاصة تجعل التدريب على أدائها أمرًا ضروريًا، ويجعل استثمار المجوّدين لنشاط الرياضة مكسبا تعليميا هامًا.

تتضمن تلاوة القرآن الكريم الكثير من الأداءات الصوتية المخالفة لنظام النثر والشعر، وهي خاصة بأداء الخطاب القرآني، وأداؤها (تعبدًا) بحاجة إلى تدريب مستمر. والتدريب، كما أسلفنا، بحاجة إلى ممارسة نقدية ليحسن تصويبه، وكثيرة هي السياقات الصوتية التي حفلت بالممارسة النقدية في كتابات القرّاء والمجودين بأشكال ملفتة، إلى درجة أن كتب علم التجويد في مجملها هي أداء رقابة ووسيلة تعليم لتحسين التلاوة، ولذلك استثمر علماء التجويد النقد الصوتي أداءً وتشكيلاً وتحليلاً للتغلب على اللحن والعادات النطقية، وقد أحسنوا توظيفه لتقديم التلاوة الصحيحة للناشئة والمبتدئين بأشكال مثمرة ومفيدة.

2.3. الاستثمار التواصلي:

أ. التواصل اللساني الفعال:

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، يقول ابن جني: «يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[10]، وعليه كانت اللغة الأداة المرتبطة بكل عناصر الحياة الاجتماعية، ويعد التواصل من سمات المجتمعات في مختلف الأحوال، وتعد المشافهة في

التواصل الفعال ذروة سنامه، بها يقوم وعليها يستند، وحسن استثمار مفاهيمها وتفاصيلها يجعل التواصل ناجحاً، وقد وقفنا على عدة مجالات في حياة الإنسان الاجتماعية يوظف في تفاصيلها ومجرياتها المشافهة بمستويات مختلفة، دالة على قيمتها في نجاح التواصل، ومنها:

ب. الاستثمار الإعلامي:

الإعلام مخاطبة الجماهير كتابيا أو شفويا، بوسائل عدة مرئية ومسموعة، وآثاره في صناعة الرأي العام وتوجيه المجتمعات لا ينكره أحد، وذلك من خلال فصاحة المتكلم مما يحسّن التواصل ويقوّي من التأثير في المتلقي، أضف إليها ظواهر التطريز من نبر وتنغيم ووقف مما يجذب المتلقي، ويبرز شخصية المتكلم بكل تقاسيمها، وهو ما يصنع تأثيرا واضحا وتجاوبا كبيرا.

ج. الاستثمار المعرفي:

إنّ حسن الأداء الصوتي يصنع تأثيرًا كبيرًا في المتلقي، وهذا ما نلمسه في العملية التعليمية، ويشمل الأمر مختلف متعلقات التلقي المعرفي كالمناقشات العلمية، والمؤتمرات والمناظرات ما يعكس بجلاء قيمة المشافهة في صناعة المعرفة وتسويقها.

د. الاستثمار الاقتصادي:

إنتاج اللغة وتداولها سلعة تباع وتشترى، ولها بعد اقتصادي فعّال للتأثير في المجتمعات من حيث استمالة الزبائن تجاريًا، ولها أيضا بعد سياحي من خلال حسن تصريف اللغة إلى الجذب السياحي والتأثير المتبادل، وهو ما يصنع حركية اقتصادية في المجتمعات، ثم إنّ تعليمة اللغات واللهجات أصبحت اليوم نشاطا يدر أرباحًا طائلة في وقت أضحت فيه تعلم اللغات أمرًا ضروريًا لاسيما مع الانفتاح الاقتصادي والسياسي بين الأمم.

هـ. الاستثمار الديني:

إنّ مهام الداعية الاتصال بالناس والتأثير فيم، واستمالة مواقفهم وتعديل بعض قناعاتهم تكون المشافهة فيها أداة رئيسية وفعالة في هذا الشأن من خلال ما يقومون به من دروس وخطب وتجمعات ومواعظ وغير ذلك مما يقوم على المشافهة، وحسن توظيفها تواصليا له آثار فعّالة في سلامة العملية ونجاحها.

و. الاستثمار القضائي:

إنّ المرافعات القضائية التي تعمل على حسن إثبات الأدلة أو نفيها، ورد الشبهات

حول المتهمين، وحسن توظيف المشافهة في ذلك هو استثمار إيجابي في سلك القضاء، وله آثار عظيمة في تحصيل نتائج مرضية.

ز. الاستثمار الثقافي:

الثقافة في المجتمعات يصنعها تضافر الكثير من عناصر الحياة المختلفة، ولها طابع تراكمي، يبنيها اللاحقون على تراث السابقين، ومن أبرز عناصرها مما تعلق بالمشافهة اكتساب اللهجات ما يضمر الكثير من ثقافات المجتمعات وخصائصها النفسية والاجتماعية والأخلاقية، ولعل المخرجات الثقافية للمشافهة اكتساب مهارات اجتماعية كالكشف عن واقعية المتكلم، أو أخلاقه أو شخصيته.

3.3. الاستثمار الفني:

إنّ الإنشاد أو الغناء يتطلب صوتا دافئا حلوًا مؤثرًا، وعليه يجب على المعنيين بذلك الاهتمام الفائق بأصواتهم من خلال تعهّد الحنجرة (أداة الإمتاع الصوتي) وسائر أعضاء التصويت بالصيانة الصحية والصوتية، وبالتدريب المستمر للمحافظة على المستوى الصوتي اللائق بها، فالإنسان يتقدم في السن بمرور الأيام، وقد يمرض، أو يتراجع عطاؤه، ولذلك يتعهد صوته بشكل دائم بالرياضة والممارسة والتدريب ليسلم أداؤه ويتحسن.

لا يختلف اثنان في أن الفنون السمعية مبنية على تأثير الإيقاع الصوتي، كالموسيقى والغناء والإنشاد. وهي ذات أثر كبير في المتلقي، لأن النفس الإنسانية تركن إلى الإيقاع الصوتي وتطرب له وتأنس به، فيكون تركيز أصحاب هذه المجالات على تنمية الحس الإيقاعي عند المتلقي، ويدخل في هذا الإطار تنمية الذائقة السمعية في المحافل العامة، ومنه أيضا تعلّم المقامات الصوتية، وتوظيفها في تلاوة القرآن الكريم لما لها من كبير الأثر في تحقيق التفاعل، مع الاحتفاظ والإقرار بالخلاف القائم بين العلماء حول جواز توظيف هذه المقامات الصوتية في تلاوة القرآن الكريم من عدمه.

4.3. الاستثمار الاستشفائي:

البحث اللساني له بعد استشفائي من خلال ما نجده في الدراسات الأرطفونية التي تهتم بمعالجة اضطرابات النطق وأمراض الكلام... وهذه القضايا تعرف وتستقرى وتتبين بالأداء والمشافهة، وعليه يعتمد علماء الأرطوفونيا على الممارسة

الأدائية في حالات التدريب والمعالجة، وهو بُعْدٌ عام في إصلاح الخلل النطقي في عموم العمليات التعليمية.

إنّ معالجة اضطرابات النطق وأمراض الكلام يحتاج إلى إجراءات نفسية وأخرى عضوية؛ فالإجراءات العضوية ترتبط بالرياضة من خلال التدريب والتأهيل لأعضاء التصويت، وليس هذا فحسب، بل أيضا لمن أصيب في بعض أعضائه التصويتية بشيء من الخلل، كالشلل الجزئي مثلا، فتكون الرياضة هي الحل الأمثل لاستعادة عمل الأعضاء، وبهذا يستثمر الأرطفونيون نشاط الرياضة والتدريب لإعادة التأهيل واستعادة النشاط الصوتي.

خاتمة:

خلص البحث إلى ثلاث نقاط جوهرية غطت عناصره، وهي:

- تتوزع مادة الفكر الصوتي العربي على مساحة معرفية واسعة جدا في الدرس اللساني، شكلت وعاءه الثري، وهي على ثلاثة أقسام؛ مدونة الأداء، ومدونة التشكيل، ومدونة التحليل، وهي بكل تفاصيلها وشواهدها ملاذ الباحث، وقد تضمنت أسسا معرفية وأخرى منهجية أطرت حركية الأصوات اللغوية.
- ينطلق الفكر الصوتي العربي من أسس شملت الأصوات اللغوية، وناطقها، والناظر في تفاعلاتها، وهذه الأسس هي الضمان الكبير لحسن التعامل مع مختلف قضايا الفكر الصوتي، وعلى ضوئها سار الباحثون في علم الأصوات اللغوية قديما وحديثا.
- لم تتوقف الدراسات اللسانية عند حدود الوصف إزاء أسس الفكر الصوتي، بل قفزت إلى مجالات الاستثمار في مختلف مناحي الحياة؛ من تواصل وتعليم وفن واستشفاء، كل ذلك استفادة من مخرجات البحث الصوتي في بعده التطبيقي.

الإحالات والهوامش:

[1] سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، 1986، ط 3، ج 4، ص 432.

[2] الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، تح. وشر: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2003، ج 1، ص 76.

[3] ابن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2006، ط 2، ج 1، ص87.

[4] لقد كانت لي وقفات متأنية في تناول مفهوم المدونة وتتبع أنواعها من خلال ورقة بحثية بعنوان "مدونة الدرس الصوتي في مصادر القراءات القرآنية، مفهومها وأنواعها وتطبيقاتها"؛ شاركت بها في المؤتمر الدولي الرابع بعنوان (التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية)، بجامعة القاضي عياض بمراكش المغربية يومي 23 و24 أكتوبر 2019، وقد نشرت أعمال المؤتمر في كتاب جماعي ضمن سلسلة الترجمة والمعرفة، ع14، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2020، ط 1، ص ص13-36.

[5] رشاد محمد سالم، الأداء الصوتي في العربية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإسلامية، الإمارات، 2005، مج 2، ع 2، ص 215.

[6] بوبكر حسيني، الصوائت القصيرة واللهجات - دراسة في أداءات القراء، صحيفة الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2007، ع 23، ص ص 171 - 180.

[7] أبوبكر حسيني، أصول التفكير الصوتي عند البلاغيين، سلسلة الترجمة والمعرفة - العدد 8، علم الأصوات وتكامل المعارف، التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم البلاغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2018، ط 1، ص 79.

[8] بوبكر حسيني، الرياضة الصوتية في مرجعيات البحث اللساني العربي، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، 2020، ط 1، ص ص 32 - 43.

[9] من ذلك: المبرد (أبو العباس)، الكامل، تح. وتع. وفهر: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ت، ج 2، ص 764. وَ: ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996، ط 1، ج 1، ص 65. وَ: الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 70. وَ: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، ط 1، ص 38، وَ: ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 92، و ص 115. وَ: الداني (أبو عمرو)، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ط 2، ص 101. وَ: ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، ط 1، ص 116.

[10] ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 33.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، الطبعة الأولى.

3- ابن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2006، الطبعة الثانية، الجزءان الأول والثاني.

4- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996، الطبعة الأولى، الجزء الأول.

5- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، الطبعة الأولى.

6- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2003، الجزء الأول.

7- حسيني (بوبكر)، أصول التفكير الصوتي عند البلاغيين، سلسلة الترجمة والمعرفة - العدد 8، علم الأصوات وتكامل المعارف، التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم البلاغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2018، الطبعة الأولى.

8- حسيني (بوبكر)، الرياضة الصوتية في مرجعيات البحث اللساني العربي، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، 2020، الطبعة الأولى.

9- حسيني (بوبكر)، الصوائت القصيرة واللهجات - دراسة في أداءات القراء، صحيفة الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2007، العدد الثالث والعشرون، الصفحات 171-180.

10- حسيني (بوبكر)، مدونة الدرس الصوتي في مصادر القراءات القرآنية، مفهومها وأنواعها وتطبيقاتها، سلسلة الترجمة والمعرفة- العدد الرابع عشر، التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2020، الطبعة الأولى.

11- الداني (أبو عمرو)، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، الطبعة الثانية.

12- سالم (رشاد محمد)، الأداء الصوتي في العربية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإسلامية، الإمارات، 2005، المجلد الثاني، العدد الثاني.
13- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، 1986، ط 3، ج 4.
14- المبرد (أبو العباس)، الكامل، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دون تاريخ، الجزء الثاني.